سعيد بنكراد الظاهراتي

محمد الداهي

مقدمة:

بدأ سعيد بنكراد (1) يتراح- خلال العقدين الأخيرين- عن المنهاجية السيميائية الصارمة التي وسمت مؤلفاته الأولى، ويترع أكثر إلى مقاربة تركيبية تستوحي جل مفاهيمها من الظاهراتية Phénoménologie سعيا إلى استيعاب العلاقة الحسية الموطدة بين الذات والعالم في ظروف وملابسات خاصة (إدراك حدث مدهش ومقاومة الدوكسا) (2). وما يلفت النظر في تحاليل بنكراد الأخيرة حرصُه على تفادي كثرة الاستشهادات و المفاهيم، وميله أكثر إلى التكثيف والإيجاز والتلميح، وإيثار استضمار الخلفيات المعرفية عوض التصريح بها.

وجدت نفسي مترددا بين عنوانين قد يبدوان متماثلين ظاهريا، في حين أن كل واحد منهما يحيل إلى تجربة خاصة وموقف محدد من الوجود وإن حافظا معا على تكاملهما وتعاضدهما. يستوعب العنوان الأول (ظاهرية سعيد بنكراد) جماعا من المعارف التي مافتئ الباحث يمتحها من الرافد الظاهراتي المتمثل في ميرلوبونتي وشارل ساندرس بورس وبول ريكور. ويفيد العنوان الثاني (سعيد بنكراد الظاهراتي) كيف تفاعل هذا السميائي مع الظاهراتية بمختلف اتجاهاتها لتدارك نقائص النظرية السيميائية العامة، وفهم العلاقة القائمة بين الإحساس والعالم، وبيان الصلة بين النشاط اللغوي والظاهرة المدركة.

لم يتخل كريماص- طيلة مشوراه العلمي -عن الظاهراتية إذ ظلت حاضرةً ماثلةً في مختلف دراساته وكتبه. وهذا ما سعى تلامذته، في فرنسا وغيرها من البلدان بما فيها المغرب، إلى إعادة استثمار منجزه بالانفتاح على نظريات أخرى، والتخلص من النزوع البنيوي المحايث

للسميائيات (انغلاق النص واكتمال المعنى وأحاديته وجاهزيته)، وبيان كيف يتولد المعنى إبان احتكاك الذات بالعالم، و انغمارها في تجربة انسانية لها شكل خاص تقتضيه طبيعة الشيء المعالج.

ظل سعيد بنكراد وفيا لإرث كريماص، ومواكبا لمنجزات أتباعه، ومتتبعا لنسقه السيميائي الذي ما فتئ يتطور ويرتاد آفاقا جديدة. وفي هذا الصدد وجد ضالته -بحكم اهتمامه بالبعد الحسي Dimension esthésique – في سيميائيات التجربة (Sémiotique de l'expérience) أو السيميائيات الإدراكية (Sémio-perception) التي تعنى بالطابع الإيحائي في العالم الطبيعي، وبمعيش الإنسان وأحاسيسه وانفعالاته وميوله، و تسعى إلى ارتياد عالم الكينونة واستجلائه ، واكتشاف أسرار العالم العجيبة في خضم فورية التجربة.

إن انغمار بنكراد في تجربة بحث جديدة، فرض عليه ما يلي:

-انتقل اهتمامه من المعقول والمعرفي إلى الانفعالي والحسي.

-كان يحرص على اتخاذ المسافة النقدية اللازمة تجاه الموضوع في حين آثر — مؤخرا- الاندماج في التجربة المعاينة لبيان كيف ينفعل الجسد الحاس أو المدرك لمحيطه دون حواجز مسبقة.

-كان- فيما قبل- ميالا إلى الطريقة الاستنباطية للتدليل على صحة فرضيات معينة باعتماد حمولة معرفية مثقلة بالمفاهيم والاستشهدادات، وأصبح- مع مر الوقت- يؤثر الانغمار في التجربة الحسية ليس من أجل فهم الحقيقة الداخلية للإنسان وإنما لإبراز كيف يتعرَّف ذاته من خلال احتكاكه بالعالم.

-انشغل- أسوة بغيره من السيميائيين المتخصصين في السيمائيات الإدراكية- بمحاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف يمكن أن نوفق بين المعطيات الظاهراتية التي نحس بها والوقائع السيميائية المولدة للمعنى؟ ماذا ندرك حقيقة؟ هل ما تنقله أحاسيسنا يلائم ويطابق الواقع المدرك بالتمام؟ ؟ ما قيمة المعارف التي ندرك؟ كيف نعبر عن أحاسيسنا(3)؟

كريماص المضاعف أو المتعدد:

قد يُعتقد أن كريماص تبنى الظاهراتية في آخر حياته بإصدار كتاب " في النقصان"(4)، وهو ما يعزز افتراض وجود وجهين لكريماص: أحدهما اعتني بالنص وحده في منأى عن محدداته الخارجية، في حين أعار الثاني أهمية قصوى للحياة بصفة عامة وخاصة للعلاقة الحسية التي تحدد

تصرف الإنسان حيال موجودات العالم. وينطبق الزعم عينه على تقسيم المسار السيميائي لكريماص إلى مرحلتين متتاليتين:

أ-كان هاجسه- في البداية -إنتاج نماذج وخطاطات قابلة لاستيعاب التجارب الإنسانية أيا كان موطنها والدعامات المعتمدة لتشخيصها. وهو ما جسدته مجمل أعماله التي تندرج عموما في إطار" نحو السرد" (Grammaire du récit).

ب-ارتأى- فيما بعد- إلى تقنين الإحساس والتدليل على استقلالية البعد الانفعالي داخل النظرية السيميائية العامة، وهو ما حفزه على صياغة لغة واصفة خاصة ب"نحو الإحساس" (Grammaire du sensible).

إن السميائي كريماص لا يقبل الانشطار بحكم تماسك عناصره وتناقسها، وهو ما يحكم على " خرافة التضعيف "(5) بالهشاشة والتلاشي لكونها لا تقوم على أساس علمي متين. و" إن قبلنا، على الرغم من كل شيء، بالتمييز بين كريماصين (deux Greimas) فإن العلاقة بينهما لم تتخذ صبغة التعاقب وإنما التزامن"(6). وفي الأحوال جميعها لا نجد أنفسنا– كما يرى إريك لاندوفسكي-أمام وجهين منفصلين لكريماص بل أمام شخص واحد أو مضاعف أو متعدد(7).لقد حرص كريماص (أسوة بزميله رولان بارث) على تشييد صرح سيميائيات عامة تستوعب- علاوة على الدعامات اللغوية وغير اللغوية- مجمل السلوكات البشرية والأشياء التي يحفل بها العالم. وهذا ما حتم عليه التحرك على أرضية واحدة بخلفيات وفرضيات علمية متعددة، مما أضفى التماسك والاتساق على مساره العلمي.

ج-استدل كريماص مبكرا بموريس ميرلو بونتيMaurice Merleau-Ponty في كتاب **علم الدلالة البنيوي** مدليا باختياراته الابستمولوجية الأساسية: "اعتبار الإدراك موقعا غير لغوي يتموضع فيه استيعاب الدلالة"(8)، ومعترفا بميوله إلى النظرية الإدراكية على النحو الذي أرسى به ميرلوبونتي دعائمها"(9). أشاد كريماص، أيضا، في مقال ذائع الصيت" راهنية سوسور" 1956 بتصورات ميرلوبونتي محيلا، على وجه الخصوص، إلى الدرس الافتتاحي الذي ألقاه هذا العالم الظاهراتي في كوليج دو فرانس عام 1953(10). وفي السياق نفسه نشر كريماص سلسلة من

الدراسات ذات الصبغة الظاهراتية وإن لم يصرح بخلفياتها المعرفية، ويحيل إلى أعلامها ومراجعهم (11).

كان يسعى- في هذه الفترة- إلى يشييد "سيميائية العالم الطبيعي"تعنى بالتجربة المعيشة أو بالنظام الإيحائي. "إن تعرُّف ظاهرة الإيحاء يسعف على إدماج مجال الدلالات- التي مازالت متمنعة عن الفهم العلمي- ، في التجربة السميائية والاستفادة من منهجيتها، ، وغالبا ما تُستحضر باعتبارها مستوى المعيش والحسي واليومي والإنساني لمعارضة الطابع التجريدي الجاف للنظرية السميائية"(12).

وقد توج هذا المسعى الظاهراتي في كتابه " في النقصان" الذي خصصه لتحليل التجربة الحسية الاستثنائية لعينة من الكتاب (ميشيل تورنييه، إيطالو كالفينو، خوليو كورثاتر، تانيزاكي جونيشيرو) إبان افتتانهم بمواضيع جمالية معينة. وقد حدد كريماص الذات والموضوع " باعتبارهما كينونتين حسيتين تحافظ كل واحدة منهما على طريقتها الخاصة في الوجود". ويحققان فيما بينهما اتصالا أو التحاما مطلقا يؤهلهما إلى الانزياح مؤقتا عن الواقع المبتذل والمتلاشي للاستمتاع بعالم مفعم بالجمال والدعة والطمأنينة.

د-سعى كريماص في بداية مشواره العلمي إلى إرساء دعامات نحو السرد(ما تجسد- بالأساس-في سميائية العمل) لكنه ارتأى- مع مر السنين- إلى التفكير في بناء صرح نحو الإحساس ، وهو ما حفزه على إصدار دراسات تخص تركيب عينة من الأهواء . وعمل فيما بعد إلى ضمها إلي كتابه الموسوم ب " في المعنى". وقد توج هذا المسار بإصدار كتاب صحبة جاك فونتاني " سميائيات الأهواء" سعيا إلى إعادة بناء الأهواء سميائيا لضبط تنظيمها التركيبي في الخطاب، واستجلاء عوالم الكينونة ، وبيان المسالك الضرورية والصيغ الأساسية التي تجلي علاقة الإنسان بالعالم.

ما يسترعي الانتباه- مما تقدم- أن كريماص المضاعف أو المتعدد يشكل في مجمله كينونة واحدة، وينطلق من رؤية واحدة للعالم تطلعا إلى تشييد نظرية سيميائية عامة تهتم بالوجود البشري عوض إثارة قضايا نظرية مغرقة في التجريد والصورنة. وترى نجيلي كرسيتي- في هذا الصدد- أن "كريماصين لا يتباينان بالنظر إلى مواضيع أبحاثيهما وإنما لما يتوفران عليه من

افتراضات وطرائق مختلفة للتفكير"(13). وهذا ما حفزه – رغم نزوعه البنيوي الصرف– إلى إدماج الإحساس في السيميائيات البنيوية ، والاهتمام بالممارسات الحياتية المعيشة حيث يؤدي الجسد الحاس دورا أساسيا في توطيد العلاقة بين البنية والحساسية (الوصف البنيوي والدلالة الحسية). لقد ألح – وهو في خريف عمره– على ضرورة الوجود السيميائي المتجانس وملاءمته للتعامل مع الإنسان بصفته كائنا يعمل ويحس في الآن نفسه.

التجربة الحسية:

1–يقيم سعيد بنكراد تمييزا بين النظرة والبصر(14). النظرة حرة تنتقي موضوعها وفق زوايا دائمة التحول في حين أن الإبصار قصد إنساني، وطريقة خاصة في تدبير الانفعال، واستيعاب الميراث الإنساني، والتعبير الأسمى عن رغبة لا تشبع. كانت العين–فيما مضى– حرة تتصرف في عوالمها كما تشاء، لكنها أضحت–الآن– أسيرة ما يعرض عليها، مقيدة فيما تراه، محاصرة بتمثيلات تقاس بمردوديتها في السوق. فهي (العين) لا تتعامل في صياغتها البصرية مع أي موضوع إلا بغاية واحدة وهي الاستهلاك.

حدد بنكراد العلاقة الحسية بين الذات والموضوع انطلاقا مما يلي:

أ–تجربة بصرية جديدة: حلت في عالمنا اليوم أصنام جديدة (نجوم الفرجة والاستعراض، والعلامات التجارية) محل المعبودات القديمة.

ب–إبدال بصري جديد: نعاين في الوقت الراهن تعميما للضوضاء والضجيج مما يشوش على التواصل الإنساني، ويحول دون تمتع العين بما تراه. أصبح الصخب مهمينا، في العصر البصري، على عوالم الرؤية بما فيها الإحساس الخالص بالوجود.

ج–الوهم البصري: أضحت شاشات اصطناعية بديلة تحجب الوجود الطبيعي، وتحرم الناس من رؤية الأشياء كما هي، بتوجيههم إلى ما يجب أن يُرى، ويُرغب فيه، ويُستمتع به. وهذا ما جعل الشبيه يحل محل الواقع، والبطل المزيف يحل محل البطل الحقيقي، والخاصية الميتافزيقية للبضاعة تحل محل الحسية الحقيقية، والسعادة الوهمية تحل محل السعادة الحقيقية، واللحظة الاستعراضية العابرة تحل محل اللحظة المعيشة المستديمة، والفعل " أرى" يحل محل الفعل " أفهم". وبمقتضى هذه الاعتبارات ، تتوطد العلاقة الحسية كما يأتي:

أ-كانت رؤية الإنسان للأشياء متحررة من القيود كلها تنتقي مواضيعها كيفما تشاء. و أضحت، في الوقت الراهن، أسيرة أوهام تحول دون رؤية الشيء بالنظر إلى ما يتميز به من خاصيات ومميزات في منأى عن كل مسعى نفعي أو ذرائعي.

ب-تدخلت وسائط جديدة بين الذات والعالم مما أدى إلى تفاقم أشكال الوهم والتضليل والتطويع في المجتمع. ومن تجليات هذه الظاهرة بروز النزعة الاستعراضية الجديدة والإشباع اللحظي النرجسي في سلوك البشر (على نحو ما يحدث في تعميم الصور الشخصية على الفايسبوك).

ج- لا تملك الصور رهبة الوثن أو جدية اللوحة وإنما الألفة العابرة للبصر والوجدان وحالات الاستهلاك اليومي. فهي موجهة ، بشكل كبير، إلى الترفيه، و لا تستقر على حال ثابت بسبب إحلال نسخة جديدة محل النسخ الملغية.

2- حلل سعيد بنكراد لوحة إشهارية(15)تحتفي بمشاركة الفريق الوطني لكرة القدم في بطولة كأس أفريقيا للأمم المنظمة عام 2012 بالغابون وغينيا الاستوائية. ومما استرعى انتباهه في اللوحة نذكر ما يلي:

أ-يتوقف القصد المباشر للوحة على استثارة الطاقة الاستهوائية للمشاهد (بعد الماتش غادي نرجع نورمال)، وذلك بجعله يعيش حالة وجدانية استثنائية لا تمت إلى حياته المعتادة بصلة.

ب-يُنظر إلى المقابلة كما لو كانت معركة حقيقية (هسترية الجسد، وفوضوية الأشياء)، مما يقتضي شحن المشاهد بالمشاعر الوطنية الجياشة كما لو كان بلده معرضا لتهديد محتمل.

ج-استُعين بالعينة الاستهوائية " الحماس" باعتبارها منطلقا لكل الطاقات الانفعالية (الغضب المدمر، والفرحة العارمة)، وحافزا على عمل (حض الفريق على الانتصار) قد يفضي إلى نتائج لا يحمد عقباها (الشغب) من جراء التشجيع المبالغ فيه.

إن الغاية من إثارة " الانفعال" بث مخزون إضافي في الجسد. وقد كانت الغاية منه تحقيق ما يلي:

أ- تم تعميق المفارقة بين الحالة المعتادة والطبيعية (قواعد السلوك المألوفة) والحالة غير المعتادة وغير الطبيعية (تمرد الجسد وعبثية العقل في خضم حالة شعورية استثنائية).

ب–انتُشل الجسد من الخمول والكسل لتحريضه على الحركة والحماس والاندفاع (الصراع، المواجهة، النشوة).

ج –بُثَّ مخزون انفعالي في الجسد ليحدث " أزمنة وأفعالا وحالات ممكنة، منها الانتظار والتوقع والتذكر والتخمين في الاتجاهين معا: ما حدث من قبل وما يمكن أن يحدث بعد تناول هذا المحلول السحري"(16).

ه–استُمثرت بقع من الألوان (خاصة الأحمر) وحالات استهوائية (الحماس) لحفز المشاهد أكثر على الاندفاع والتكتل والاقتتال، والانغمار في حالة نفسية فريدة من نوعها (حالة السكر الصوفي).

د– يدعم مشروب كوكا كولا حاجة عابرة ، وينشد مقصدا عاما " أنتم تشربون وطنا بطعم كوكا، أو تشربون كوكا بطعم الوطن". ويتضح من خلال الحالتين أن المشروب ثابت في حين يتجسد الوطن طيفا عابرا أو ينطمس أثره في الوجدان.

يتضح– مما سبق– أن سعيد بنكراد ركز على حاسة البصر بالنظر إلى ما يلي:

–بين دور الرؤية في إثارة انفعال الذات وحفزها على الانتقال من حالة معتادة إلى حالة شعورية استثنائية مما يجعلها لا تتحكم في حركاتها وأعصابها، ويحفزها أكثر على الحماس الذي قد يفضي بها إلى أعمال غير متوقعة أو غير محمودة (التحريض على الشغب).

ب–فكك مكونات اللوحة مركزا على توزيع الألوان ودلالاتها، ومتوقفا عند اللغة التي تؤدي وظيفة الإرساء للحد من تناسل المعاني كيفما اتفق، و حصرها وفق الحالة التي تكون عليها الذات إبان المقابلة (لا تكون طبيعية) ثم بعدها (استرجاع خاصيتها الطبيعية). ومن ثمة، يتضح دور المشروب في الرقي بالإنسان من حال الخمول والكسل إلى حالة أخرى تستدعي مؤهلات الصراخ والمواجهة والقوة والعراك.

ج–استعان سعيد بنكراد ببعض المفاهيم التي تندرج في إطار تركيب الهوى (خاصة الحماس) لكنه فضل أن يموضعه في فضاء أعم (أهواء بلا اسم) حرصا على فهم العلاقة الحسية الاستثنائية (الكتلة الانفعالية الغامضة) التي توطد العلاقة بين الذات والموضوع إبان لحظة عابرة، وسعيا إلى

بيان المفارقة بين الطبيعي وغير الطبيعي، والتمييز بين الظاهر والباطن، والانتقال من القصد المباشر إلى القصد الأسمى.

3-يتقاسم الناس جميعهم حاسة الشم(17)، لكنهم يختلفون في طريقة تمثله. يضطلع الإنسان ، في جميع الحالات، بشم ما ينفذ إلى منخاريه من شتى الروائح أكانت طيبة أم كريهة. لكن الوعي الثقافي يتدخل للتمييز بين الروائح، والانتقال من الروائح الطبيعية إلى الروائح الاصطناعية، وإقامة فوارق اجتماعية وهوياتية وثقافية بين المتعطرين.

أ- استطاع الإنسان- بحكم استعداداته الطبيعية للشم- أن يبلور شبكة تواصلية لتصنيف مختلف الروائح وفق طبيعتها الفيزيقية وإيحاءاتها الاجتماعية ورمزيتها الثقافية، ودرء المخاطر المحدقة (شم دخان نار أو احترق طعام)، واستحضار تمثلات وتصورات ذهنية، وهو ما يسعف على الرقي بالتمثيل الشمي من الخبر التقريري إلى الدلالة العطرية الإيحائية " أي الانتقال من الإحالة على فضائل أو مميزات خاصة بالعطر، للكشف عما يعود إلى هوية الفرد وانتماءاته في الدين والاجتماع"(18).

ب-للعطر قدرة هائلة على الربط بين عوالم متباينة، لا رابط بينها سواء ما يمكن أن توحي به لحظات الشم وحدها. علاوة على ذلك يودع العطر في شكل يثير حالات شعورية وروحية، ويوقظ الاستيهامات المغفية. وتحيل هذه الترابطات الغامضة إلى " روائح استعارية" تجلي السلوك البشري من قبيل " رائحة الخيانة" ، و " رائحة التخاذل"، و" ورائحة الخوف" أو قد يقترن بالروائح المقدسة (على نحو البخور) التي تجلب البركة، وتطرد الجن، وتقي من عين الحسود، وتبعث الطمأنينة، وتكشف عن الكنوز المخبأة، وتعزز التطبيع الثقافي مع الموت (في الثقافة الأسيوية)، وتبعث على التحدي والابتهال والتوبة.

ج-يؤدي العطر دورا دنيويا معززا الطاقة الشهوانية بطريقة صريحية أو ضمنية. وهو ما يستثمره المشهرون بذكاء للارتداد بالإنسان إلى الحالة الطبيعية حيث ينقاد لترواته وأهوائه الشهوانية وينساق لطبعه البهيمي. " فالإنسان – في هذا النوع من الوصلات- حيوان" مقنع" لا يستعمل من طاقاته الحسية سوى الشم، تماما كما يفعل الكثير من الحيوانات التي تتعرف على شريكها عن طريق الشم"(19).

يجسد بنكراد حاسة الشم كما يلي:

أ- هي عملية فسيولوجية يتقاسمها الناس سواسية. وهي جزء من " إحساس" تفرضه ضرورة الوجود . لكنها تغدو تمثلا رمزيا، وسلوكا ثقافيا حمالا لإبدالات وإيحاءات مختلفة بالنظر إلى الفوارق الاجتماعية والأخلاقية والإثنية والإيديولوجية.

ب-يميز سعيد بنكراد، فيما يخص حاسة الشم، بين الوظيفتين التقريرية والإيحائية ، والميزتين الطبيعية والنفعية، والبعدين النفعي والرمزي، والمجالين الفردي والجماعي. فبقدر ما يسعف الشم الإنسان على تعرُّف جزء من محيطه وتمييز الروائح المنبعثة منه بقدر ما يؤدي دورا اجتماعيا وثقافيا لتبين الانتماءات الاجتماعية والطبقية، واستنتاج التمايزات الدينية والعرقية والطائفية، واستنطاق مخزون الذاكرة الجمعية، والجمع بين عوالم مختلفة لا رابط بينها.

ركز سعيد بنكراد على الدور الرمزي للعطر وإيحاءاته الاستعارية، وطاقاته الاستهوائية، وبين ما يؤديه من أدوار لدعم " الاندفاع الأيروسي"، وبعث الغرائز من مراقدها لغايات نفعية (على نحو التباهي) أو تجارية (بيع قارورة العطر).

نستنتج من التحاليل المعتمدة ما يلي:

1-لا نحس بالشيء الخارج عن ذواتنا لكونه يستهوينا وإنما هو يستدعي ذلك بحكم قصدية تؤطرها إرغامات مقامية محددة. وعليه فالوعي لا يمكن أن يوجد مستقلا بذاته ومنعزلا عن محيطه. وهذا ما حفز سعيد بنكراد على المزاوجة بين المسعيين الظاهراتي (ما يحيل إليه الإدراك) والهرمسي (ما يقترن بالتأويل)، وبناء المعنى استنادا إلى بعد معرفي وإدراكي.

حلل سعيد بنكراد بعض الظواهر المحسوسة أو المعاينة في ظروف خاصة، متوقفا عند خاصياتها كما تنطبع أو تتشيد في الوعي الذي يدركها ، ومبررا أبعادها الرمزية والثقافية والإيحائية، ومتدرجا من ظاهرها إلى باطنها حيث تستوطن التجارب الثقافية الأكثر عمقا ودلالة مما هو في الواقع.

2-يستثمر بنكراد مفهوم الامتلاك لفهم التجربة الحسية ليس باعتبارها برنامجا موجودا مسبقا، وإنما لكونها نصا مفتوحا ومشرعا على آفاق متعددة تند –من جهة-عن التقنين والصورنة، وتسعف-من جهة أخرى- الذات على تعرُّف نفسها، واستعادة تجربة معنوية، ومقاومة

الاغتراب الثقافي، والاستئناس بالغريب(20). وهكذا يتجسد الوجه الفعلي للشيء من خلال محدداته الإضافية التي تدرك من خلال الاصطدام بها. وما نحس به يكتسي عموما وجودا عرضيا يرتبط باللحظة التي أنتجته، وينتفي بانتفاء اللحظة عينها(21). على عكس ذلك يراهن الإشهار على استعادة اللحظة نفسها واستدامتها بدون أن تستنفد طاقاتها الانفعالية وشحناتها الشعورية. وهو ما نعاين جزءا منه في تحليل سعيد بنكراد للوحة الإشهارية المتعلقة بمشروب كوكا كولا. تواصلت الوصلة بالإيقاع نفسه إبان مشاركة الفريق الوطني في بطولة كأس أفريقيا موهمة المتفرج أن المشروب السحري يقوي من حماسه إلى أن يغمر نفسيته بنشوة غير طبيعية. وهو ما يحفز الفريق الوطني على بذل مزيد من الجهد لتحقيق الانتصار. ولما أقصي من مضمار المنافسة أصبح هذا الإشهار عديم الجدوى بدعوى أن الظروف واللحظات التي أطرته انتفت بطريقة مأساوية. وهو ما يقتضي من المشهر البحث عن عناصر جديدة لتأثيث الصورة بما يمكن أن يشحذ إرادة المتلقي، ويفيض نفسيته شوقا وحماسا، وينهض ذاكرته ويقوي جأشها.

1-حتمت حاسة الشم على سعيد بنكراد استثمار المنهاجية الظاهراتية بالتدرج من خاصيات العطر (الاستعراض الإدراكي) إلى ما يمت إلى الإدراكات المختلفة بصلة (الامتداد المثالي) مرورا بما يمنح لهذا العطر من معنى بالنظر إلى قيمته قي الوجود (القيمة الوجودية)(22). للعطر خاصيات وأشكال ومظاهر مختلفة لكن ماهية كل نوع من أنواعه تظل ثابتة ومستمرة في جميع المتغيرات الممكنة. إنه الثابت الماهوي الذي يكون مستقلا عن المعطى. و لا يقصد بذلك أنه مغيب أو مبعد وإنما هو حاضر ومعاين من خلال جملة من المتغيرات الحرة التي تتكفل به(23). ولا يقصد به شيء في ذاته أو ماهية ميتافيزيقية وإنما هو المعنى المعروض على الإنسان ووعيه بهدف الإمساك به وتمثله.

يمر المحلل بلحظات فراغ مستبعدا أية أطروحة عن الشيء المصطدم به، وممعنا النظر إليه ومبلورا معرفة خاصة به دون الاعتماد على الأفكار المسبقة. ليس الثابت الماهوي شيئا مزعوما بل هو خاصية ظاهراتية تميز الشيء عن غيره. وإن اشتركت العطور في خاصيات مشتركة فهي تتمايز ليس في أشكالها ومظاهرها وإنما فيما يظل ماثلا ومستمرا في الخاصيات المتغيرة. وفي هذا الصدد يسعى الإشهار إلى خلق روابط استهامية واستعارية بين الثابت الماهوي وما يحيل إليه من

عوالم مفعمة بالجمال والوفرة والطمأنينة. وما يهم في هذا الجانب ليس العودة إلى الشيئ ذاته وإنما إلى ما تشكله ماهيته من أفق للتأمل والتأويل. وهذا ما يجعل المدرك أوالمحسوس مندغما في تجارب جماعية ومشرعا على آفاق ثقافية مختلفة.

4–توقف سعيد بنكراد– بشكل عابر– أمام تركيب عينة من الأهواء، لكنه استرسل أكثر في الأهواء المجردة من الاسم، وغير المجسدة خطابيا (أي أنها مازالت ما قبل خطابية). وهي تستوطن فضاء التشكلات الهجينة مما يفيد أنها في طريق التكون إلى أجل غير مسمى(24). وإن كانت هذه الأهواء غير موسومة باسم ما، فهي تستدعي ما يصطلح عليه إريك لاندوفسكي بالعدوى التي تورط الذات في علاقة حسية مع العالم إلى حد الالتحام به والشعور بالإحساس نفسه الذي يصدر عنه. وهو ما يحفز في نظر لاندوفسكي على الاهتمام بالتفاعلات والعلاقات الاجتماعية، وباكتشاف الإدراك الأصليProprioceptivité للذات في علاقتها بالعالم المحسوس عوض الركون إلى النص المغلق(25).

1–ألقيت هذه المداخلة في الندوة التي نظمها فرع اتحاد كتاب المغرب بتمارة يوم الجمعة22 أبريل 2016 تقديرا لجهود سعيد بنكراد في المجال السيميائي.

2–مجموع المعتقدات والأفكار غير الموضوعية (هوسيرل).

3–لا يمكن أن نعزل البحث الظاهراتي عن المشكل المعجمي. قد لا تسعفنا العبارة في الاهتداء إلى ما نحس به أو ندركه.

4- Algirdas Julien *Greimas*, *De l'Imperfection*, Fanlac, Périgueux, 1987

5–من بين الباحثين الذين فندوا " خرافة التضعيف" أو الفصل التعسفي بين مساري كريماص نذكر نيجولي كرسيتي

Nijolé KERSYTÉ , « La sémiotique d'A. J. Greimas entre logocentrisme et pensée phénoménologique » , Actes sémiotiques ,n 112,2009 , http://epublications.unilim.fr/revues/as/2870, publié en ligne le13 février 2009.

6- ibid

7- Eric Landowski , « Le sémioticien et son double », Lire Greimas, Limoges, Pulim, 1997.

8- A. J. *GREIMAS*: *Sémantique structurale*. Recherche de méthode. Paris, Larousse, « Langue et langage », 1966, p8

9- ibid p 9

10-استشهد كريماص بالمقطع الموالي من المحاضرة الافتتاحية التي ألقاها ميرلوبونتي ." كان من الممكن أن يضع سوسور معالم فلسفة جديدة للتاريخ. ويعتبر إيفان دارولت–هاريس أن هذه الالتفاتة تعتبر بمثابة تقدير كبير لميرلوبونتي. انظر في هذا الصدد :

Ivan DARRAULT-HARRIS«Algirdas Julien Greimas, *De l'Imperfection,* Fanlac, Périgueux, 1987, Chap 34-23« Le Guizzo » Actes sémiotique n°115,2012, http://epublications.unilim.fr/revues/as/2870, publié en ligne le 09 avril 2012

11–" شروط سيميائية العالم الطبيعي"1972،" من أجل سوسولوجية الحس المشترك" " من أجل سيميائية طبولوجية "1974 سيميائيات صورية وسيمائيات تشكيلية"1978. أعيد نشر المقال الأول (ص49–92) والثاني (93–102) في كتاب :A.J Greimas, Du sens Essais sémiotique, Seuil, Paris,1970.

أما المقال الثالث(129–158) فنشر في كتاب

A.J. Greimas, Sémiotique et sciences sociales, Paris, Seuil, 1976.

أما الدراسة الثالثة فنشرت في " أعمال سيميائية" العدد60، 1984.

12- A.J Greimas, Du sens Essais sémiotique, op.cit pp 99-100.

13-Nijolé KERSYTÉ , « La sémiotique d'A. J. Greimas entre logocentrisme et pensée phénoménologique », op.cit

14–سعيد بنكراد "مدارات النظرة والصخب البصري"، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، الجمعة 15 يناير 2016، العدد 11.215

15–سعيد ينكراد " الحسي: البصري والنشوة. وصفة في حب الوطن"، وهج المعاني سيميائيات الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013، ص–ص 152–162.

16–المرجع نفسه ص ص.155

17–سعيد بنكراد " القناع الثقافي للرائحة"، مجلة الدوحة، العدد 90 أبريل 2015، ص–ص48–51.

18–المرجع نفسه ص ص50.

19–المرجع نفسه ص.51

20–سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، من الهرموسية إلى السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2012، ص.233

21–المصدر نفسه، ص 336.

22- jean Toussaint Desanti , Introduction à la phénoménologie, Gallimard, Nouvelle édition revue , Folio essais, 1994,p90.

23- ibid p89

24- Eric Landowski , Passions sans nom Essai de sociosémiotque III, PUF,2004, 10

25- ibid p 9